PSYCHOLOGY AND EDUCATION (2024) 60(1): 61-85

ISSN:1553-6939

INTERPRETATION OF THE HOLY QUR'AN BETWEEN THE APPROACH OF IBN AL-SAADI AND IBN BADIS -A COMPARATIVE STUDY-

Hicham Aliane[1]

[1]University of Haj Lakhdar Batna -1- (Algeria), hichamaliane57@gmail.com

Received: 12/2023, Published: 01/2024

Abstract:

This article is a study of the interpretiveapproach of two of the flags of the interpreters in the modern era, namely Sheikh Abdul Rahman bin Al-Saadi and Sheikh Ibn Badis, mayGod have mercy on them, whereeach of theminterpreted the Book of GodAlmighty, while Ibn Al-Saadi has namedhisinterpretation: 'Facilitating the Holy Rahman in the interpretation of the words of Al-Manan', whichis a completeinterpretation of the blogger, and Ibn Badis calledhisinterpretation as: 'Remembrance councilsfrom the words of the expert sage' whichis an interpretation of a set of verses thatheused to electfromsome surahs and publishthem in the monthly magazine Al-Shehabunder the title: Remindercouncilsfrom the words of the expert sage, mayGod have mercy on him, mayGod have mercy on himinterpreted the entireQur'anorally in the Green Mosque in Constantine, but onlythis book waswrittenfrom: Remindercouncilsfrom the words of the expert sage. The researchis a comparative study of the approach of thesetwointerpretations in theirinterpretations, highlighting the aspects of agreement and differencesbetweenthem.

Keywords: 'Facilitating the Holy Rahman in the interpretation of the words of Al-Manan', 'Remembrance councilsfrom the words of the expert sage', A comparative study.

تفسير القرآن الكريم بين منهج السعدي وابن باديس

–دراسة مقارنة–

هشام عليان[1]

[1]جامعة الحاج لخضر باتنة –1– (الجزائر)، hichamaliane57@gmail.com

ملخص

هذا المقال هو دراسة للمنهج التفسيري لعلمين من أعلام المفسرين في الوقت المعاصر وهما الشيخ عبد الرحمن بن السعدي والشيخ عبد الحميد ابن باديس –رحمهما الله تعالى–، فوسم تفسير الأول بـ: "**تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان**" وهو تفسير كامل مدون، في حين كان تفسير ابن باديس فأسماه بـ: "**مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير**" وهو عبارة عن تفسير مجموعة من الآيات التي كان ينتخبها من بعض السور وينشرها في مجلة الشهاب الشهرية تحت

عنوان: مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، وقد فسر رحمه الله القرآن كاملاً شفوياً في المسجد الأخضر بقسنطينة لكن لم يحظ بأن يكون كالأول من فرصة التدوين على المستوى الكلي.

أما الإشكالية التي يتمحور عليها هذا البحث فتتمركز حول أوجه التباين والتوافق بين كلا التفسيرين.

الكلمات المفتاحية: "تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان"، "مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير"، دراسة مقارنة.

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فقد اعتنى العلماء قديما وحديثا بتفسير كلام الله تعالى؛ وذلك لأن بيان كلام الله جلّ وعلا واستنباط ما فيه من المعاني والعقائد والأحكام واستخراج ما انطوى عليه منالأخلاق والآداب واكتشاف ما سنّه من القوانين والنُّظم التي لا يصلح أي مجتمع إلا بها من أعظم الواجبات على علماء هذه الأمة ومن أفضل المهمات النبيلة التي لا يُوفق إليها إلا من اختارهم الله تعالى واصطفاهم.

والناظر في كتب التفسير يجدأن علماء التفسير قد بذلوا جهدًا مشكورًا في خدمة كتاب الله عز وجل، فبينوه للأنام، وقربوه للأفهام.. ومع هذه العناية العظيمة، اختلفت مناهجهم في التفسير؛ فلكل مفسر منهم – رضي الله عنهم – منهاج يسير عليه في بيانه لكتاب الله عز وجل.

وذلك لأن المنهج السليم في علم التفسير وغيره من العلوم له دور كبير في عدم وقوع الخطأ من جهة وفي الوصول إلى الهدف الذي يقصده المفسر من منهجا المنتهج من جهة أخري.

وخاصة في عصرنا الحديث الذي كثرت في القضايا والمشكلات التي يتطلب علاجها إلى مناهج محكمة تختلف باختلاف الواقع المعاش.وقد اخترت هذين العلمين المعاصرين لاختلاف البيئة التي عاش فيها كل واحد منهما.

واستنادا إلى ما المادة العلمية فقد قسمت هذا المقال إلى: ثلاثة محاور وخاتمة؛ المحور الأول فهو تمهيد بين يدي المقارنة بين المنهجين، تناولت فيه ترجمة المفسرين وتفسيرهما. أما المحور الثاني بينت فيه أوجه الاتفاق بين المنهجين، في حين تناول المحور الثالث أوجه الاختلاف بينهما.وأخيرا خاتمة تضمنت أهم النتائج والتوصيات.

المحور الأول: المفسران وتفسيرهما

أولا: التعريف بالمفسرين

أ– ترجمة الشيخ السعدي

هو الشيخ أبو عبد الله عبد الرحمان ابن ناصر بن عبد الله بن ناصر آل سعدي من قبيلة تميم من أهل نجد مفسر وفقيه من الحنابلة[1]. ولد في بلدة عنيزة من مقاطعة القصيم في 12المحرم 1307هـ، توفي والديه وهو صغير توفيت أمه وهو في السنة الرابعة وتوفي أبوه وهو في السابعة فنشأ يتيم الأبوين[2].

لكن الله هيأ له بيئة صالحة فنشأ نشأة حسنة واسترعى الأنظار منذ حداثة سنّه بذكائه ورغبته الشديدة في العلوم، فحفظ القرآن وهو لم يتجاوز الحادي عشر من عمره، ثم تلقى العلوم على العلماء المتواجدون في بلده كالشيخ محمد عبد الكريم الشبل قرأ عليه الفقه وعلوم العربية، والشيخ صالح بن عثمان القاضي قرأ عليه التوحيد والتفسير والفقه والأصول، والشيخ عبد بن عائض والشيخ صعب التويجري والشيخ علي السناني والشيخ علي الناصر قرأ عليه الحديث وأخذ عنه الأمهات الست وغيرها وأجازه في ذلك، والشيخ محمد بن الشيخ عبد العزيز المحمد المانع والشيخ محمد الأمين الشنقيطي نزيل الحجاز[3].

وجد واجتهد حتى نال الحظ الأوفر من كل فن من فنون العلم، ولما بلغ ثلاث ثلاثين سنة جلس للتدريس فكان يتعلم ويعلم ويقضي جميع أوقاته في ذلك، وأخذ عنه الكثير من التلاميذ كالشيخ عبد بن عبد الرحمان البسام وهو من أنبغ تلاميذه، والشيخ محمد بن صالح العثيمين، والشيخ عبد الله بن عبد العزيز العقيل والشيخ علي بن حمد الصالحي والشيخ عبد العزيز بن محمد السلمان والشيخ عبد العزيز المطوع وغيرهم كثير[4].

وكرس الشيخ ابن سعدي حياته للتعليم والتأليف وخلف آثاراً عظيمة وتصانيف نفيسة منها:

1_ تيسر الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان.

2_ تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن.

3_ القواعد الحسان لتفسير القرآن.

4_ قصص الأنبياء في القرآن وما فيها من العبر والفوائد الكثيرة المستفادة من قصص القرآن.

5_ بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخبار في شرح جوامع الأخيار.

6_ الأدلة القاطعة والبراهين في أصول الملحدين.

7_ الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية.

8_ رسالة في القواعد الفقهية.

[1] الأعلام، الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط:3، 1989م، ج:3، ص:340.

[2] علماء نجد خلال ستة قرون، عبد الله بن عبد الرحمان البسام، مكتبة النهضة، 1398هـ، ج:2، ص:423.

[3] منهج الشيخ السعدي في تفسيره، ناصر العبد، سليم المرنخ، ص:45.

[4] المرجع السابق، ص:45.

9_ منهج السالكين وتوضيح الفقه في الدين.

10_ التعليق وكشف النقاب على نظم قواعد الإعراب.

11_ الوسائل المفيدة للحياة السعيدة.

12_ من محاسن الدين الإسلامي.

13_ الفوائد السعدية لأبناء الأمة الإسلامية.

وغيرها كثير اقتصرنا على بعضها.

وبعد عمر دام 69 عاما في خدمة العلم انتقل إلى جوار ربه فجر يوم الخميس الموافق 22جمادى الآخرة عام 1376هـ بعد مرض لازمه قراب خمس سنوات ودفن في مدينة عنيزة من بلاد القصيم رحمه الله رحمة واسعة[1].

ب– ترجمة الشيخ ابن باديس

هو عبد الحميد بن محمد بم مكي بن باديس الصنهاجي ويرجع نسبه المعز بن باديس مؤسس الدولة الصنهاجية الأولى التي خلفت الأغالبة على مملكة القيروان[2]، ولد بمدينة قسنطينة يوم الأربعاء 10 ربيع الثاني 1308هـ، الموافق 04 ديسمبر 1889هـ، كان والده محمد المصطفى بن مكي بن باديس صاحب مكانة مرموقة وشهرة واسعة، وأمه السيدة زهيرة بنت علي الأكحل بن جلول[3]، حفظ القرآن على الشيخ المدّاسي ولما يبلغ الثالثة عشر من عمره، أخذ مبادئ العلوم الشرعية على يد الشيخ حمدان الونّيسي، سافر إلى جامع الزيتون بتونس فتتلمذ على خيرة علمائه كالشيخ محمد النّخلي والشيخ الطاهر بن عاشور الذي كان له الدور الكبير في تكوين ابن باديس تكويناً لغوياً قوياً وفي الشغف بالأدب العربي والاعتزاز بهالشيخ الخضر بن الحسين الجزائري الأصل الذي قرأ عليه دروساً في المنطق من كتاب التهذيب وقرأ عليه دروساً في التفسير وتخرج منهما بشهادة التطويع العالمية عام 1911هـ، ودرس أيضاً على الشيخ محمد الصادق النيفر والشيخ سعيد العياض السطايفي والشيخ محمد القاضي والشيخ البشير صفر المؤرخ وشيخاه بالإجازة في مصر الشيخ محمد بخيت المطيعي والشيخ أبو الفضل الجيزاني[4].

[1]علماء نجد خلال ستة قرون، عبد الله بن عبد الرحمان البسام، مكتبة النهضة، 1398هـ، ج:2، ص:423.

[2]مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، عبد الحميد بن باديس، ت: أبو عبد الرحمان محمود، دار الرشيد للكتاب والقرآن الكريم، الجزائر، ط:1، 2009م، ج:1، ص:35.

[3]ابن باديس حياته وآثاره، عمار طالبي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط:1403،2هـ، 1983م، ص: 72_73.

[4]ابن باديس حياته وآثاره، عمار طالبي، ص:75، 76، ومجالس التذكير تحقيق: أبو عبد الرحمان محمود، ج:1، ص:37.

وفي عام 1912هـ عاد إلى الجزائر ليلقي بعض الدروس في الجامع الكبير بقسنطينة من كتاب الشفا للقاضي عياض رحمه الله لكنه سرعان ما منع.

وفي عام 1913هـ غادر قسنطينة متوجها إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، وفي المدينة التقى بأستاذه حمدان الونيسي كما تعرف على الشيخ البشير الإبراهيمي.

رجع ابن باديس إلى قسنطينة ليباشر التعليم في الجامع الأخضر بسعي من والده لدى الحكومة.

وفي الجامع الأخضر ختم تفسير القرآن تدريساً في ربع قرن كما أتم شرح الموطأ لإمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله تدريساً أيضاً، أصدر بعد تأسيس المطبعة الجزائرية الإسلامية عدة جرائد من أشهرها الشهاب والسنة والشريعة والصراط والبصائر لتبليغ الدعوة الإسلامية .

وفي سنة 1931م تم تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فأنتخب عبد الحميد ابن باديس رئيساً لها.

أسس بمؤازرة إخوانه المصلحين المساجد والمدارس الحرة والنوادي العلمية في شتى أنحاء القطر الجزائري.

ولقد تتلمذ علي يده الكثير من الطلاب والعلماء من أبرزهم: الشيخ المبارك الميلي والشيخ الفضيل الورثلاني والشيخ موسي الأحمدي والشيخ الهادي السنوسي والشيخ باعزيز بن عمر والشيخ محمد الصالح بن عتيق والشيخ محمد الصالح رمضان وغيرهم كثير[1].

ورغم أعماله العظيمة في الدعوة إلى الله تحت ظرف الاحتلال فإن ذلك لم يمنعه من تصنيف المصنفات والرسائل والكتب وسنذكر منها ما يلي:

1_ مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير.

2_ من هدي النبوة مجالس التذكير من كلام البشير النذير.

3_ القصص الهادف.

4_ العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

5_ رجال السلف ونساؤه.

6- مبادئ الأصول.

7- رسالة جواب سؤال عن سوء مقال.

8_ العواصم من القواصم لأبي بكر بن العربي تحقيق.

[1] ومجالس التذكير تحقيق: أبو عبد الرحمان محمود، ج:1، ص:37.

9_ تحفة المستهدي في إثبات خروج المهدي.

10_ التأفيف لمنكر التأبين.

11_ مجموعة من المقالات المنشورة في مجلتي الشهاب والبصائر، جمعت هذه المقالات ونشرت ضمن آثاره[1].

توفي ابن باديس بعد حياة حافلةبجلائل الأعمال مساء الثلاثاء 8 ربيع الأول سنة 1359هـ الموافق 16 أفريل 1940م، ودفن في روضة أسرته بحي الشهداء قرب مقبرة قسنطينةرحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جنانه[2].

ثانيا: التعريف بالتفسيرين

أ– تفسير السعدي

تفسير السعدي الموسوم بـ: " تيسر الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان "

بدأ المؤلف رحمه الله تأليفه لهذا التفسير قي 1342هـ وأنهاه عام 1344هـ، وهو تفسير كامل يشمل جميع سور القرآن الكريم ولقد ذكر السعدي في مقدمة تفسيره كلاما ضمنه سبب تأليفه لهذا التفسير فقال رحمه الله: "وقد كثرت تفاسير الأئمة رحمهم الله لكتاب الله، فمن مطول خارج في أكثر بحوثه عن المقصود، ومن مقصر، يقتصر على حل بعض الألفاظ اللغوية،بقطع النظر عن المرادوكان الذي ينبغي في ذلك، أن يجعل المعنى هو المقصود، واللفظ وسيلة إليه. فينظر في سياق الكلام، وما سيق لأجله، ويقابل بينه وبين نظيره في موضع آخر؛ ويعرف أنه سيق لهداية الخلق كلهم، عالمهم وجاهلهم، حضريهم وبدويهم، فالنظر لسياق الآيات مع العلم بأحوال الرسول وسيرته مع أصحابه وأعدائه وقت نزوله، من أعظم ما يعين على معرفته وفهم المراد منه، خصوصا إذا انضم إلى ذلك معرفة علوم العربية على اختلاف أنواعها.

فمن وفق لذلك، لم يبق عليه إلا الإقبال على تدبره وتفهمه وكثرة التفكر في ألفاظه ومعانيه ولوازمها، وما تتضمنه، وما تدل عليه منطوقا ومفهوما، فإذا بذل وسعه في ذلك، فالرب أكرم من عبده، فلا بد أن يفتح عليه من علومه أمورا لا تدخل تحت كسبه.

ولما من الباري علي وعلى إخواني بالاشتغال بكتابه العزيز بحسب الحال اللائقة بناأحببت أن أرسم من تفسير كتاب الله ما تيسر"[3]، ومن نص السعدي رحمه الله يتبين لنا أن الدوافع لتأليف هذا التفسير هو سببان:

[1] مجالس التذكير تحقيق: أبو عبد الرحمان محمود، ج:1، ص:39، 40.

[2] المصدر السابق، ج:1، ص:39، 40.

[3] تيسر الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، عبد الرحمان بن السعدي، ت:عبد الرحمن بن معلا اللويحق، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط:1، 2003م، ص:8.

1_ ما رآه من خروج بعض من ألف في تفسير عن مقصود التفسير إما بالتطويل الممل أو بالاختصار المخل، فأراد أن يؤلف تفسير متوسط بين ذلك يفهمه المبتدئ ويستفيد منه المنتهي.

2_ أن الله أنعم عليه بالاشتغال بكتاب الله سبحانه وتعالى ويسر ذلك له فأراد أن يؤلف تفسير للقرآن كالشكر لهذه النعمة.

وظهر تفسير السعدي في عدة طبعات أحسنها الطبعة التي اعتنى به عبد الرحمان بن مُعلا اللويحق سنة 1419هـ.

ب– تفسير ابن باديس

اسم تفسير ابن باديس هو "مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير"شرع فيه رحمه الله تفسيراً شفويا للناس في الجامع الأخضر بولاية قسنطينة ابتداء من سنة 1913م وعمره يومئذ أربع وعشرون سنة وفي سنة 1925م أصدر ابن باديس مجلة الشهاب الأسبوعية التي تحولت ابتداء من 1929م إلى مجلة شهرية هنا بدأ ابن باديس يحرر بقلمه بعض الآيات من القرآن الكريمومن ثم ينشروها في هذه المجلة تحت عنوان: "مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير" أملا منه أن يسهم فيه نهضة الشعب الجزائري عقيدة وفكراً وسلوكاً وقد سلك ابن باديس في تفسيره طريقتين: الأولى شفوية والثانية تحريرية[1].

وقد أتم تفسيره الشفوي في 19من ربيع الثاني سنة 1357هـ الموافق 12 جوان 1938م أي بعد خمس وعشرين عاماً يقول الشيخ الإبراهيمي رحمه الله تعالى: "أتم الله نعمته على القطر الجزائري بختم الأستاذ عبد الحميد ابن باديس لتفسير الكتابي الكريم درساًعلى الطريقة السلفية وكان إكماله إياه على هذه الطريقة في خمس وعشرين عاما متواليات مفخرة مدخرة لهذا القطر"[2].

أما تفسيره المدون فلم يتمه فهو عبارة مجموعة من دروس في تفسير آيات متفرقة ومقصودة من سورة المائدة، يوسف، النحل ،الإسراء، مريم، طه، الأنبياء، الحج، المؤمنون، النور، الفرقان، النمل، الأحزاب، يسين، الذاريات، المعوذتين[3].

وقد ظهرت عدة طبعات لتفسير ابن باديس من اشهراها:

1_ نشرة أحمد بوشمال رحمه الله الذي جرذ من تلك المجالس آيات مختارة من سورة الفرقان فقط، وطبعت بالمطبعة الجزائرية الإسلامية بقسنطينة سنة 1367هـ 1948م مقدمة ضافية بقلم العلامة البشير الإبراهيمي رحمه الله.

[1] تفسير عبد الحميد بن باديس منهجه وخصائصه، باي زكوب، مجلة الإسلام في آسيا،مج:8، العدد: 2، ديسمبر 2011م، ص:113، 114.

[2] آثار الامام محمد البشير الإبراهيمي، مطبعة المنار، مصر، ج:1، ص:318.

[3] تفسير عبد الحميد بن باديس منهجه وخصائصه، باي زكوب، ص:114.

2_ نشرة محمد الصالح رمضان بمشاركة توفيق محمد شاهين المصري الذين عملا على تجريد المجالس من المجلة ولم يفتهما منها إلا القليل فخرج الكتاب في 538 صفحة، نشر في دار الكتاب الجزائري بالجزائر وطبع بمطبعة الكيلاني بالقاهرة سنة 1384هـ 1964م.

3_ نشرة الشؤون الدينية والأوقاف بالجزائر وطبع بمطبعة دار البعث بقسنطينة سنة 1403هـ 1964م.

4_ نشرة دار الكتب العلمية ببيروت 1416هـ _ 1995م، مصورة عن النشرة الثانية وعلق عليها وخرج أحاديثها أحمد شمس الدين.

5_ نشرة دار الرشيد للكتاب والقرآن الكريم بالجزائر سنة 1430هـ_ 2009م في مجلدين واعتنى به وخرج أحاديثه وآثاره وعلق عليه أبو عبد الرحمان محمود.

الطبعة الأخيرة هي التي اعتمدت عليها في بحثي هذا لقيمتا العلمية استفادتها من الطبعات السابقة.

المحور الثاني: أوجه التوافق

من خلال النظر في هذين التفسيرين العظيمين يتبين أنهما قد اتفقا في المنهج في الكثير من الجوانب نلخصها في الآتي:

أولا: الوضوح والسهولة

فتفسير ابن سعدي تفسير سهل أجاد فيه مؤلفه وانتهج منهجاً وسطاً بين التطويل الممل والاختصار المخل وبذلك كان مطابقا وسطا لاسمه "تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان" حيث قدم الشيخ عبد بن عبد العزيز بن عقيل مقدمة في أول تفسير الشيخ السعدي قال فيها: "...حيث جاء هذا التفسير سهل العبارة واضح الإشارة وصاغه على نمط بديع بعبارات قريبة لا خفاء فيها ولا غموض ..."[1].

أما تفسير ابن باديس فقد تميز بالوضوح والسهولة أيضاً؛ لأنه كان يفسر القرآن على شكل دروس في المسجد وكان يحضر لهذه الدروس مختلف طبقات المجتمعمن رجال ونساء وكبارا وصغارا مثقفين وعامة.

فكان رحمه الله يراعي في خطابه حال المستمعين بحيث يخاطبهم بأسلوبي واضح سهل يفهمه العامي ويغوص فيه المتبحر في العلم.

ثانيا: اعتماد منهج التفسير بالمأثور

أ–تفسير القرآن بالقرآن:

[1] تيسير الكريم الرحمان، السعدي، ص: 6.

مثال ذلك عند السعدي في تفسيره لسورة الشورى الآية 20 قوله تعالى: {نْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ} أشار بعد تفسيرها أن معنى هذه الآية جاء في آيات أخري تشبهها وذكر قولع تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ}[1].

ومثاله عند ابن باديس رحمه الله في تفسير قوله تعالى {وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا} (الإسراء: 82).

أشار إلى أن هناك آيات أخرى وصف الله فيها القرآن بأنه شفاء فقال رحمه الله: وصف الله تعالى القرآن بأنه شفاء في مواضع من كتابه منها هذه، ومنها قوله تعالى في: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ } (يونس: ٥٧). ومنها: {قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى } (فصلت: ٤٤.) وأفادت الآيات كلها أنه شفاء لأهل الإيمان الذين يؤمنون دون غيرهم، فإنهم بإعراضهم عنه كانوا من الخاسرين"[2].

ب– تفسير القرآن بالسنة:

ومثال ذلك عند السعدي رحمه الله: في تفسيره لقوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ}، فقال رحمه الله: "واعلم أن النفاق هو :إظهار الخير وإبطان الشر، ويدخل في هذا التعريف النفاق الاعتقادي، والنفاق العملي، كالذي ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في قوله" :آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان" وفي رواية" (وإذا خاصم فجر)[3]"[4].

ففسر علامات المنافق الذي تتحدث عنه الآية المذكورة بحديث النبي صلى الله عليه وسلم في بيان علامة المنافق.

ومثاله أيضا عند ابن باديس في تفسير قوله تعالى: {رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا} (الإسراء: 25) فقال رحمه الله: "وإن صلاح الإنسان وفساده إنما يقاسان بصلاح نفسه وفسادها. وإنما رقيه وانحطاطه باعتبار رقي نفسه وانحطاطها، وما فلاحه إلاّ بزكائها، وما خيبته إلاّ بخبثها .قال تعالى :{قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ

[1] المصدر السابق، ص:723.

[2] ومجالس التذكير تحقيق: أبو عبد الرحمان محمود، ج:1، ص:354.

[3] أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، (1/ 16)، رقم: (33)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، (1/ 78)، رقم(59) :

[4] تيسير الكريم الرحمان، السعدي، ص: 28

خَابَ مَنْ دَسَّاهَا } (الشمس:9، 10) وفي الصحيح:"ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب"[1][2]. فبين رحمه الله أن كما أنا صلاح البدن يكون بصلاح القلب كذلك صلاح الجوارح واستقامتها على طاعة الله إنما تكون بصلاح القلب وسلامته من أمراض القلوب.

ج– أقوال الصحابة والتابعين:

فمثاله عند السعدي رحمه الله في تفسيره لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} حيث استشهد في تفسيره لهذه الآية بقول ابن مسعود رضي الله عنه في بيان معنى (حَقَّ تُقَاتِهِ): وهو قوله رضي الله عنه:" وهو أن يُطاع فلا يُعصى، ويُذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر"[3].

وفي تفسيره لقوله تعالى: فقال رحمه الله:يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ*} "ثم أمر الله بتقواه عمومًا، وهي كما قال طلق بن حبيب :أن تعمل بطاعة الله، على نور من الله، ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله، على نور من الله، تخشى عقاب الله"[4]فاستشهد بقول طلق بن حبيب رضي الله عنه في تعريف التقوى.

أما ابن باديس رحمه الله فمثاله في تفسير قوله تعالى:{ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ} استشهد بأثر عن الصحابيين أبي عبيدة بن الجراح وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، فقال رحمه: "ليس الفرار من الأمراض بمعالجتها ومن المصائب بمقاومتها فراراً من الله؛ لأن الأمراض هو قدّرها والأدوية هو وضعها، ودعا إلى استعمالها، والتعالج بها، كذلك المصائب وما شرع من أسباب مقاومتها، فكلها منه بقدره، والإنسان مأمور منه بأن يعالج ويقاوم، فما فر من قدره إلاّ إلى قدره؛ ولهذا لما قال أبو عبيدة لعمر– رضي الله عنهما –في قصة الوباء" : أفراراً من قدر الله يا عمر؟قال عمر :نعم، نفر من قدر الله إلى قدر الله "وفي الحقيقة كان الفرار من شر في مخلوق إلى الله يرجو منه الخير في غيره"[5].

وفي تفسيره لقوله تعالى:

استشهد بقول التابعي الجليل مجاهد رحمه الله[6]

[1] أخرجه من حديث النعمان بن بشير: البخاري في الإيمان باب ٣٩. ومسلم في المساقاة (حديث ١٠٧) وابن ماجة في الفتن باب ١٤. والدارمي في البيوع باب١.

[2] مجالس التذكير ابن باديس، ج:1، ص:72.

[3] تيسير الكريم الرحمان، السعدي، ص: 124.

[4] المصدر السابق، ص:764.

[5] مجالس التذكير ابن باديس، ج:2، ص:361.

[6] المصدر السابق، ج:2، ص:173.

إلا أن المفسِّريّن لم يكثرا النقل عن الصحابة والتابعين، وذلك لأن السعدي ينتهج أسلوب الاختصار وعدم التوسع والاستطراد، وابن باديس كان لا يكثر النقل عنهم لاستعماله الأسلوب الأدبي الذي يخاطب مستوي العامة .

د- تجنب الاستدلال بالإسرائيليات:

فقد حذر المفسرين من رواية الإسرائيليات في التفسير أشد التحذير، وما ورد في تفسيريهما من الروايات الإسرائيلية فكان من باب بطلانها وكذبها مثل تفسير السعدي لقوله تعالى: {فَقَالَ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ} فقال رحمه الله: "وهذه التفاسير التي توجد وتشتهر بها أقوال لا يعرف غيرها، تنقل هذه الأقوال عن بني إسرائيل مجردة ويغفل الناقل عن مناقضتها للمعاني الصحيحة وتطبيقها على الأقوال"[1].

ومثال ذلك عند ابن باديس في تفسير قوله تعالى: {فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ} (النمل:22)

فقال رحمه الله: "رويت في عظم ملك سليمان روايات كثيرة ليست على شيء من الصحة، ومعظمها من الإسرائيليات الباطلة التي امتلأت بها كتب التفسير، مما تلقى من غير تثبت ولا تمحيص"[2].

هـ- الاجتهاد في بيان عقيدة أهل السنة:

وذلك لأن الأمة الإسلامية كانت في حاجة ماسة بتفسير يعنى به صاحبه إلى بيان عقائد أهل اسنة وشرحها وبيان ما يتعلق بها وما يثار حولها من شبهات.

وقد أجاد السعدي وابن باديس في تفسيريهما في بيان عقيدة أهل السنة والأدلة عليها بيان شبه المنحرفين والرد عليها ردا شافيا كافيا.

ومن الأمثلة التي وردت في تفسير السعدي ما ذكره في تفسير سورة قوله تعالى{وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ}سورة النساء:14قال رحمه الله: "يدخل في اسم المعصية الكفر فما دونه من المعاصي، فلا يكون فيها شبهة للخوارج القائلين بكفر أهل المعاصي فإن الله تعالى رتب دخول الجنة على طاعته وطاعة رسوله. ورتب دخول النار على معصيته ومعصية رسوله، فمن أطاعه طاعة تامة دخل الجنة بلا عذاب، ومن عصى الله ورسوله معصية تامة يدخل فيها الشرك فما دونه، دخل النار وخلد فيها، ومن اجتمع فيه معصية وطاعة، كان فيه من موجب الثواب والعقاب

[1] تيسير الكريم الرحمان، السعدي، ص: 574.

[2] مجالس التذكير ابن باديس، ج:2، ص:235، 236.

بحسب ما فيه من الطاعة والمعصية. وقد دلت النصوص المتواترة على أن الموحدين الذين معهم طاعة التوحيد، غير مخلدين في النار، فما معهم من التوحيد مانع لهم من الخلود فيها"[1].

وأما مثاله عند ابن باديس في تفسير قوله تعالى:{ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} (الفرقان: 70)، فذكر في ثنايا تفسير هذه الآية مسألتين:

الأولى: الأولى :هل يخرج غير التائب من النار؟

وغير التائب الذي بقي للخلود المطلق في الآية هو :المشرك والقاتل والزاني.

فأما المشرك فلا خروج له من النار؛ لقوله تعالى : {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ }

وأما القاتل والزاني إذا كانا من أهل الإيمان فإنهما يخرجان بعد شديد العذاب بما معهما من الإيمان؛ لأحاديث صحيحة، منها ما رواه الشيخان عن أنس رضي الله عنه:

"يخرج من النار من قال لا إله إلاّ الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة".

ثم يخرج من النار من قال لا إله إلاّ الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن برَّة.

ثم يخرج من النار من قال لا إله إلاّ الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة"[2] .

زاد البخاري في رواية قتادة عن أنس» :من إيمان «مكان »خير «وهذا من عدل الله ورحمته، فإنه أذاقهم من العذاب الشديد والهوان المخزي جزاءهم، ثم أخرجهم من النار، وما أضاع عليهم إيمانهم، إن الله بالناس لرؤوف رحيم.

الثانية :هل لقاتل النفس ظلمًا وعدوانًا من توبة؟

ذهب ابن عباس في المشهور عنه، الذي رواه الشيخان أو غيرهما: أنه لا توبة له .وقال في هذه الآية :إنها نزلت في المشركين، وذكر سبب نزولها كما تقدم. وقال- إثره- أما من دخل في الإسلام وعقله، ثم قُتل فلا توبة له.

وقال في هذه الآية :إنها آية مكية نسختها آية مدنية وهي آية الفرقان: {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا } (النساء: 93) ومراده بالنسخ التخصيص :يعني أن لفظة "من "في }إِلَّا مَنْ تَابَ {عامة، تشمل القاتل فتقضي بعمومها أن له توبة. وأن آية الفرقان التي جاءت في القاتل خصصتها وأخرجته من عمومها.

[1] تيسير الكريم الرحمان، السعدي، ص: 152.

[2] رواه البخاري في التوحيد باب ١٩. ومسلم في الإيمان حديث ٣٢٥. والترمذي في صفة جهنم باب ٩. وأحمد في المسند (٣/ ١١٦، ١٧٣، ٢٧٦).

وذهب جمهور السلف، وأهل السنة :إلى أن للقاتل توبة، ونظروا في هذه الآية إلى عموم لفظها لا إلى خصوص سبب نزولها، وجعلوا عموم }وَمَنْ يَقْتُلْ {في آية الفرقان مخصصاً بمن تاب، المستثنى في هذه الآية. فابن عباس خصص من تاب بمن يقتل. وهم عكسوا فخصصوا من يقتل بمن تاب.

ويرجح تخصيصهم العمومات الدالة على قبول التوبة من كل مذنب مثل قوله تعالى { :وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا }(النساء:11)

وقوله :{وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ} (الشورى:25)

وقوله :{ وَقَابِلِ التَّوْبِ} (غافر:3)

وحديث" :التائب من الذنب كمن لا ذنب له " في عمومات كثيرة. والظاهر إذا كثرت تفيد القطع."[1].

و_ الاعتماد على التفسير اللغوي:

نزل القرآن بلغة العرب ومن ثم لابد أن يكون للغة العرب موقعها في تكوين المنهج التفسيري.

وعليه فإن الشيخين قد اعتمدا في تفسيرهما على اللغة العربية، وقد توسطا في الاستعانة بالتفسير اللغوي فهما لم يكثرا من المسائل اللغوية بحيث يختزلان القرآن بأنه نص لغوي فحسب ولم يقللا من شأن العربية كما هو عنده بعض الاتجاهات التي تعتبر أن المطلوب من القرآن ليس ألفاظه وإنما الحقائق الكائنة وراءها.

ومثال ذلك في تفسير السعدي قوله في تفسير قوله تعالى:وقوله {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ }أي: نخصك وحدك بالعبادة، والاستعانة، لأن تقديم المعمول يفيد الحصر، وهو إثبات الحكم للمذكور، ونفيه عما عداه .فكأنه يقول :نعبدك، ولا نعبد غيرك، ونستعين بك، ولا نستعين بغيرك.

وقدم العبادة على الاستعانة، من باب تقديم العام على الخاص، واهتماما بتقديم حقه تعالى على حق عبده"[2].

فبيَّن وحدانية الله وانفراده بالعبادة دون ما سواه مستعيناً بأسلوب الحصر الذي طريقه تقديم ما حقه التأخير والعكس، وبين مدى أهمية الاستعانة في تحقيق العبادة وكمالها مستعيناً بأسلوب التقديم والتأخير، استعمل هذين الأسلوب باقتصاد وعدم تطويل ولا تعقيد.

أما ما ورد ابن باديس فمثاله في تفسير قوله تعالى:{ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا} (الإسراء: 25) فقال رحمه الله: "وقد أكد الكلام بـ"إن "لتقوية الرجاء في المغفرة. وجيءَ بلفظة كان، لتفيد أن ذلك هو شأنه

[1] مجالس التذكير ابن باديس، ج:2، ص:148، 149.

[2] تيسير الكريم الرحمان، السعدي، ص: 25.

مع خلقه من سابق، وهذا مما يقوي الرجاء فيه في اللاحق؛ فقد كان عباده يذنبون ويتوبون إليه، ويغفر لهم، ولا يزالون كذلك، ولا يزال تبارك وتعالى لهم غفوراً. وإنما احتيج إلى هذا التأكيد في تقوية رجاء المذنب في المغفرة، ليبادر الرجوع على كل حال، لأن العبد مأخوذ بأمرين يضعفان رجاءه في المغفرة:

أحدهما كثرة ذنوبه التي يشاهدها فتحجبها كثرتها عن رؤية مغفرة الله تعالى، التي هي أكبر وأكثر.

والآخر رؤيته لطبعه البشري؛ وطبع بني آدم من المنع عند كثرة السؤال، كما قال شاعرهم – أي البشر –لأن الشاعر العربي عبر عن طبع بشري:

سأَلْنَا فَأَعْطَيْتُمْ وَعُدْنَا فَعُدْتُمْ ... وَمَنْ أَكْثَرَ التِّسْآلَ يَوْماً سَيُحْرَمِ

فيقوده القياس– وهو من طباع البشر أيضاً –الفاسد :إلى ترك الرجوع والسؤال، من الرب الكريم العظيم النوال.

فهذان الأمران يقعدانه عن الرجوع والتوبة، فيستمر في حمأة)١ (المعصية، وذلك هو الهلاك المبين. فكان حاله مقتضياً لأن يؤكد حصول المغفرة عند رجوعه بتلك المؤكدات"[1]، فذكر أسلوب التوكيد وبينه جلياً، بل لم يكتفي حتى علل وروده بأوضح عبارة وأدق استنباط رحمة الله عليه.

ز_ الاستعانة بعلوم القرآن:

قد استعان الإمامان في تفسيريهما بعلوم القرآن استعانة متفاوتة بين القلة بالنسبة لبعض العلوم الكثرة وكثرة لأخرى، فمثلا تجد أنهما أكثرا من ذكر أسباب النزول واقتصدا في ذكر القراءات إلا أن هذا الاقتصاد لم يصل إلى درجة الإهمال لعلم القراءات.

ومثال ما ورد في تفسير السعدي رحمه الله في قوله تعالى: { وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} (البقرة: 186)،فقال رحمه الله:"هذا جواب سؤال، سأل النبي صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه فقالوا :يا رسول الله، أقريب ربنا فنناجيه، أم بعيد فنناديه؟ فنزل:{ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ }"[2]، فقد ذكر سبب نزول هذه الآية وهذا علم من علوم القرآن له أثر عظيم في توضيح المعنى.

[1] مجالس التذكير ابن باديس، ج:2، ص:148، 149.

[2] تيسير الكريم الرحمان، السعدي، ص: 71.

وأما ابن باديس فمثال ذكر سبب النزول قوله تعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا} [1] أما استعانته بعلم القراءات فمثاله في تفسير الله تعالى:{وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولا *كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا[2]}.

ح_ العناية بعلم المناسبات:

فالشيخان رحمهما الله كانا يعتقدان بأن ترتيب آيات المصحف توقيفي ليس لأحد فيه اجتهاد وهذا الترتيب لم يكن جزافا ولا اعتباطاً تنزيهاً لكلام الله تعالى عن ذلك.

وعليه فالقول بوجود المناسبات أمر يحتمه الاعتقاد بتنزيه كلام الله تعالى عن الفوضى والتناقض قال تعالى:{أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}(محمد: 24)

وبالنظر إلى تفسير الشيخين نجد أنهما اهتماما بعلم المناسبات والعلاقة بين السور والآيات لاستخراج أنواع من الحكم والمعاني التي خفيت على من تقدم وتأخر من المفسرين.

إلا أنهما لم يتكلفا في إظهار المناسبة بين الآيات والسور ، فإن ظهرت المناسبة بيَّناها وإن لم تظهر لم يتعنّا أو يتكلفا في إبرازها كما فعل بعض المفسرين.

ومثال ما ورد في تفسير السعدي ذكر مناسبة قوله تعالى في سورة يوسف:{ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ } مع الآيات الثلاثة الأولى التي قبلها من سورة يوسف، قال رحمه الله"ولما مدح ما اشتمل عليه هذا القرآن من القصص، وأنها أحسن القصص على الإطلاق، فلا يوجد من القصص في شيء من الكتب مثل هذا القرآن، ذكر قصه يوسف، وأبيه وإخوته، القصة العجيبة الحسنة فقال:{ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ}"[3].

ومثال ما ورد عند ابن باديس تفسيره لقوله تعالى:و{وقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا} { وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا} (الإسراء: 23، 24) فقد ذكر المناسبة بين قرن الأمر بطاعة الوالدين بعد الأمر بعبادته سبحانه فقال: "الله هو الخالق، والوالدان- بوضع الله- هما السبب المباشر في التخليق، والله هو المبتدئ بالنعم عن غير عمل سابق، وهما يبتدئان بالإحسان عن غير إحسان تقدم، والله يرحم ويلطف وهو الغني عن مخلوقاته، وهم الفقراء إليه، وهما يكنفان

[1] مجالس التذكير ابن باديس، ج:2، ص:131.

[2] المصدر السابق، ج:1، ص:280.

[3] تيسير الكريم الرحمان، السعدي، ص: 369.

بالرحمة واللطف الولد، وهما في غنى عنه، وهو في افتقار إليهما، والله يوالي إحسانه ولا يطلب الجزاء، وهما يبالغان في الإحسان دون تحصيل الجزاء، فلهذه الحالة التي خصهما الله بها وأعانهما بالفطرة عليها، قرن ذكرهما بذكره؟ فلما أمر بعبادته أمر بالإحسان إليهما في هذه الآية، وفي قوله تعالى:وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا } (النساء: 36)"[1].

ط_ ذكر بعض الظواهر العلمية والكونية في تفسيرهما:

وذلك لأجل بيان أن القرآن لا يعارض العلم بل إنه دعوة للعلم واستعمال العقل في إطار ما سمح به الشرع.

ومثال ذلك عند السعدي قوله في تفسير قوله تعالى:{وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ} قال: " أي: مدت مدًا واسعًا وسهلت غاية التسهيل، ليستقر الخلائق على ظهرها، ويتمكنوا من حرثها وغراسها، والبنيان فيها، وسلوك الطرق الموصلة إلى أنواع المقاصد فيها.

واعلم أن تسطيحها لا ينافي أنها كرة مستديرة، قد أحاطت الأفلاك فيها من جميع جوانبها، كما دل على ذلك النقل والعقل والحس والمشاهدة،كما هو مذكور معروف عند أكثر الناس، خصوصًا في هذه الأزمنة، التي وقف الناس على أكثر أرجائها بما أعطاهم الله من الأسباب المقربة للبعيد، فإن التسطيح إنما ينافي كروية الجسم الصغير جدًا، الذي لو سطح لم يبق له استدارة تذكر.وأما جسم الأرض الذي هو في غاية الكبر والسعة)٥ (، فيكون كرويًا مسطحًا، ولا يتنافى الأمران، كما يعرف ذلك أرباب الخبرة."[2]

أما مثاله عند ابن باديس فهو قوله في تفسير قوله تعالى:{ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا } (الإسراء: 12)

فذكر هنا عدة ظواهر طبيعة نذكر منها على سبيل المثال "فمحونا آية الليل" قال رحمه الله: "}فَمَحَوْنَا {المحو هو الإزالة: إزالة الكتابة من اللوح، وإزالة الآثار من الديار. فمحو "آيَةَ اللَّيْلِ "إزالة الضوء منها، وهذا يقتضي أنه كان فيها ضوء ثم أزيل؛ فتفيد الآية أن القمر كان مضيئاً، ثم أزيل ضوؤه فصار مظلماً.

وقد تقرر في علم الهيئة أن القمر جرم مظلم يأتيه نوره من الشمس.

واتفق علماء الفلك في العصر الحديث بعد الاكتشافات والبحوث العلمية أن جرم القمر– كالأرض– كان منذ أحقاب طويلة وملايين السنين شديد الحمو والحرارة ثم برد، فكانت إضاءته في أزمان حموه وزالت لما برد"[3].

[1] مجالس التذكير ابن باديس، ج:1، ص:192 .

[2] تيسير الكريم الرحمان، السعدي، ص: 882.

[3] مجالس التذكير ابن باديس، ج:1، ص:156 .

ك_ الاعتماد على أمهات المصادر في التفسير:

فالشيخ السعدي فقد اعتمد على مؤلفات ابن تيمية التي لها علاقة بالتفسير مثل كتاب دقائق التفسير ومقدمة التفسير كذلك اعتمد على التفسير القيم لابن القيم وتفسير الطبري وابن كثير وتفسير الرازي وغيرهم ممن لهم السبق والدراية بهذا العلم .

وأما ابن باديس فقد اعتمد على تفسير الطبري والزمخشري وتفسير أبي حيان الأندلسي وتفسير الرازي.

واعتمادهما على هذه المصادر في التفسير يجعلهما في مأمن من الوقوع في الزيغ والزلل عند تفسيرهما لكلام الله تعالى بالإضافة إلى تعزيز أفكارهما التي يرميان إليها لكتاب الله تعالى.

ل_ الاعتماد على منهج التربية:

فالشيخان رحمها الله لم يكن همهما الوحيد هو تفسير كلام الله وبيان معانيه فحسب، بل كانت غايتهما كذلك من تفسير كلام الله تعالى هو توجيه الناس إلى الأخلاق الفاضلة وحثهم على التربية الحسنة والصفات النبيلة كما يظهر هذا جلياً في تفسير السعدي في قوله في تفسير قوله تعالى: ١٩٩} {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ. {

هذه الآية جامعة لحسن الخلق مع الناس، وما ينبغي في معاملتهم، فالذي ينبغي أن يعامل به الناس، أن يأخذ العفو، أي :ما سمحت به أنفسهم، وما سهل عليهم من الأعمال والأخلاق، فلا يكلفهم ما لا تسمح به طبائعهم، بل يشكر من كل أحد ما قابله به، من قول وفعل جميل أو ما هو دون ذلك، ويتجاوز عن تقصيرهم ويغض طرفه عن نقصهم، ولا يتكبر على الصغير لصغره، ولا ناقص العقل لنقصه، ولا الفقير لفقره، بل يعامل الجميع باللطف والمقابلة بما تقتضيه الحال وتنشرح له صدورهم.

وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ: أي: بكل قول حسن وفعل جميل، وخلق كامل للقريب والبعيد، فاجعل ما يأتي إلى الناس منك، إما تعليم علم، أو حث على خير، من صلة رحم، أو بِرٍّ والدين، أو إصلاح بين الناس، أو نصيحة نافعة، أو رأي مصيب، أو معاونة على بر وتقوى، أو زجر عن قبيح، أو إرشاد إلى تحصيل مصلحة دينية أو دنيوية، ولما كان لا بد من أذية الجاهل، أمر الله تعالى أن يقابل الجاهل بالإعراض عنه وعدم مقابلته بجهله، فمن آذاك بقوله أو فعله لا تؤذه، ومن حرمك لا تحرمه، ومن قطعك فَصِلْهُ، ومن ظلمك فاعدل فيه"[1].

أما مثاله عند ابن باديس فقد قال في تفسير قوله تعالى:{ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} (النمل: 18) فقال رحمه الله: " فهذه النملة لم تهتم بنفسها فتنجو بمفردها، ولم ينسها هول ما رأت من عظمة ذلك الجند إنذار بني جنسها؛ إذ كانت تدرك بفطرتها أن لا حياة لها

[1] تيسير الكريم الرحمان، السعدي، ص: 290، 291.

بدونهم، ولا نجاة لها إذا لم تنج معهم، فأنذرتهم في أشد ساعات الخطر أبلغ الإنذار. ولم ينسها الخوف على نفسها وعلى بني جنسها من الخطر الداهم، أن تذكر عذر سليمان وجنده.

فهذا يعلمنا أن لا حياة للشخص إلاّ بحياة قومه، ولا نجاة لهم إلاّ بنجاتهم، وأن لا خير لهم فيه إلاّ إذا شعر بأنه جزء منهم، ومظهر هذا الشعور أن يحرص على خيرهم كما يحرص على نفسه، وألا يكون اهتمامه بها دون اهتمامه بهم"[1].

11_ استنباط الفوائد والأحكام:

وهذه أيضا ميزة تميز بها الشيخين في تفسيريهما وذلك في دقة استنباطهما فيما تدل عليه الآيات من الفوائد والأحكام والحكم، ويظهر هذا جلياً في تفسيرهما لآيات الأحكام.

فمن ذلك عند السعدي في تفسير آية الوضوء في سورة المائدة قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ.} فاستنبط منها احدى وخمسين حكماً[2].

ومثاله عند ابن باديس رحمه الله فقد اهتم كثيرا باستنباط الفوائد والحكم والأحكام في مواضع عديدة من تفسيره مثل تفسيره لبداية الفرقان قال تعالى:{تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا(الفرقان: 1، 2)} قال رحمه الله: "فقه واستنباطا"

لما سمى الله كتابه الفرقان، علمنا أنه به يفرق بين الحق والباطل، ولكل هذا وذاك. فهو الحكم العدل، والقول الفصل بين كل متنازعين يدعي كل منهما أنه على الحق، فيما هو عليه من عقد، أو قول، أو عمل.

فما تقابل حق وباطل، وما تعالجت حجة وشبهة إلاّ وفي هذا الكتاب الحكيم ما يفرق ما بينهما، وإنما يتفاوت الناس في إدراك ذلك منه على حسب ما عندهم من قوة علم، وصدق بصيرة، وحسن إخلاص.

فعلينا– إذن– أن يكون أول فزعنا في الفرق والفصل إليه.وأن يكون أول جهدنا في استجلاء ذلك من نصوصه ومراميه، مستعينين بالسنة القولية والعملية على استخراج لآلئه، فإذا حكم قبلنا وسلمنا وكنا مع ما حكم له، وفارقنا ما حكم عليه؛ فالله سماه الفرقان، لنعلم أنه فارق بنفسه، ولنعمل بالفرق به، ولا يكمل إيماننا بأنه الفرقان، إلاّ بالعلم والعمل.

[1] مجالس التذكير ابن باديس، ج:2، ص:262،263 .

[2] تيسير الكريم الرحمان، السعدي، ص: 222.

ولما جعل- تعالى- غاية تنزيل الفرقان أن يكون عبده نذيراً، اقتضى ذلك أن نذارته تكون بالقرآن؛ لتقوم الحجة، وتتم الحكمة، وتحصل الفائدة وتشمل النعمة"[1].

س_ تنوع طرق التفسير عندهما:

فقد استعمل السعدي عدة أنواع للتفسير وهي:

1_ التفسير التحليلي وذلك في تفسيره لسورة البقرة الآية: 207 وسورة التوبة في تفسيره لآية 111.

2_ لتفسير الموضوعي وذلك في سورة الأحزاب في تفسيره لسورة الحجرات الآية 43 وسورة طه الآية 124.

3_ التفسير الإجمالي وذلك فيتف+سيره لسورة البقرة الآيات: 246، 247، 248.

4_ التفسير المقارن: وذلك في تفسيره لسورة النساء الآية: 93.

كذلك ابن باديس فقد استعمل عدة أنواع من التفسير وهي:

1_ التفسير العلمي وذلك في تفسير لسورة الإسراء الآية 12.

2_ التفسير التحليلي: وذلك في تفسير لسورة الإسراء 58.

3_ التفسير المقارن: وذلك في تفسيره لسورة الحج الآيات: 30، 31، وسورة النمل الآية: 94.

المحور الثالث: أوجه الاختلاف

هناك عدة اختلافات بين السعدي وابن باديس أوجزها في النقاط الآتية:

أولا: تفسير السعدي مدون كاملا، أما تفسير ابن باديس يحتوي على آيات مأخوذة من بعض السور.

فالشيخ السعدي كان له طلبة خاصين به وملزمين دروسه وكانوا حريصين على تدوين تفسيره، بالإضافة إلى أن الشيخ السعدي كان يدون تفسيره بخط يده لذلكلم يضع منه شيئا.

أما الشيخ ابن باديس رحمه الله فقد فسر القرآن كاملا لكن لم له طلبة خاصين به ملازمين دروسه وإنما كان تفسيره في المسجد ولعامة الناس، فاقتصر على تفسير القرآن درسا ومشافهة؛ لأنه كان يرى تدوين التفسير بالكتابة يفوت عليه عمله العظيم الذي هو تعليم جيل وتربية أمة ومكافحة أميّة ومعالجة أمراض اجتماعية ومصارعة الاستعمار الذي يسعى جاهدا لإغراق هذه الأمة في وحل الجهل والكفر والضلال والعصيان والسعي في تأييد الشهوات التي تعيق الشعب عن محاربته، لهذا لم يجد وقتا يدون فيه الخير العظيم الذي يحويه صدره من العلوم والفنون التي فاض بها في درسه في التفسير.

[1] مجالس التذكير ابن باديس، ج:1، ص:54.

ثانيا: يهتم السعدي في التفسير بالمعنى الإجمالي للآية دون التوسع في ذلك أما ابن باديس كان يستطرد في تفسير الآيات وله منهجية في ذلك.

فالسعدي كان يركز على المعنى المقصود من الآية بعبارة واضحةيفهمها كل من يقرؤها مهما كان مستواه العلمي ويأتي بكلام مختصر مفيد مستوعب لجميع ما تضمنته الآية من معنى أوحكم دون إطالة أو استطراد وفي ذلك يقول رحمه الله: "وقد كثرت تفاسير الأئمة رحمهم الله لكتاب الله، فمن مطول خارج في أكثر بحوثه عن المقصود، ومن مقصر، يقتصر على حل بعض الألفاظ اللغوية بقطع النظر عن المراد وكان الذي ينبغي في ذلك، أن يجعل المعنى هو المقصود، واللفظ وسيلة إليه. فينظر في سياق الكلام، وما سيق لأجله، ويقابل بينه وبين نظيره في موضع آخر "[1].

أما ابن باديس فكان له أسلوب خاص ومنهجيةيتبعها في تفسيره لكتاب الله تعالى فكان رحمه الله يذكر آية أو آيتين ثم يضع لها عنواناً يناسبها وبعد ذلك يبدأ في التمهيد للآيات التي اختارها ذاكراَ فضلها وسبب نزولها والمناسبة إن وجدت ثم يشرع بعدها بتفسير لغوي موجز يحرص فيه على تحديد المفهوم اللغوي والاصطلاحي للكلمات والمفاهيم الرئيسية الواردة في المقطع الذي اختاره ثم ينتقل بعد ذلك إلى المعنى الإجمالي للمقطع الذي يشرحه وإذا كان للمقطع أكثر من وجه للإعراب فإنه يورد معناه حسب هذه الوجوه وبعد المعنى الإجمالي يضع عناوين فرعية خاصة بكل موضوع من موضوعات الآيات وفي هذه العناوين الفرعية بالذات يشرع ابن باديس بربط هداية القرآن بمجتمعه مع ما يعاني به من مشكلات وأمراض.

وهكذا طريقته في جميع تفسيره لسور وآيات القرآن الكريم. ومن هنا يبدوا ابن باديس أكثر منهجية وتعمقا في تفسيره إذ يحيط بكل عناصر الدرس.

ثالثا: الشيخ السعدي لا يستدل إلا بأقوال أهل الشيوخ من أهل السنة والمتأثر بهم كابن تيمية وابن القيم، أما ابن باديس فإنه كان يستدل بأقوال المخالفين له في الرأي إذا رآه صواباً موافقاً للحق

فالمتتبع لتفسير السعدي يجده كثيرا ما يستدل بأقوال السلف من الصحابة والتابعين وأتباعهم وبأقوال ابن تيمية وابن القيم ولا ينقل أقوال المخالفين له في الرأي إلا على سبيل بيان بطلانها وضلالها أو الرد عليها.

أما ابن باديس فإنه إضافة إلى استدلاله بأقوال السلف والمفسرين من أهل السنة يستدل أيضا بمن خالفه في الرأي إذا أصاب الحق وتوفرت فيه شروط التفسير ومثال ذلك استدلاله بكلام عبد الكريم بن هوزان القشيري شيخ الصوفية في زمانه وقد عدّه ابن باديس كلاماً نفيساً[2] وفي هذا المعنى يقول ابن القيم رحمه الله: "البصير الصادق يضرب في كل غنيمة بسهم ويعاشر كل

[1] تيسير الكريم الرحمان، السعدي، ص: 18.

[2] مجالس التذكير ابن باديس، ج:2، ص:226.

طائفة على أحسن ما معها ولا يتحيز إلى طائفة وينأى عن أخرى بالكلية إلا يكون مها شيء من الحق فهذه طريقة الصادقين"[1].

رابعا: اختلاف الظروف أثر على منهج الشيخين في التفسير

فالشيخ السعدي كان يعيش في ظل الحرية والاستقرار مما جعله متحررا في أقواله وإصدار أحكامه وفتاويه.

أما ابن باديس كان يعيش تحت وطأة الاستعمار وفي ظروف مضطربة وعلى الرغم من ذلك تحدى تلك الظروف وظل يفسر القرآن في المسجد الأخضر بقسنطينة وقد كانت المساجد في تلك الفترة واقعة تحت مراقبة الاحتلال الفرنسي الذي كان من أهدافه الشيطانية في الجزائر القضاء على القرآن واللغة العربية.

فكان تدريس الشيخ ابن باديس لتفسير كتاب الله كرسالة يوجهها إلى فرنسا بأن الشعب الجزائري ما زال متمسكاً بكتاب ربه وعقيدته الراسخة وأن القرآن هو أساس النهضة والتوجيه والتربية والتعليم.

ولذلك استخدم الشيخ في منهجه لتفسير كتاب الله تعالى أسلوب التلميح دون التصريح في نصه وتبينه للحق في توجيه المسلمين وهذا تماماً مثل ما كان يفعله الرسول صلى الله عليه وسلم مع أصحابه بخطاب عام لا تعين فيه وهو قوله: ما بال أقوام.

خامسا: اختلاف مصادرهما في المسائل الفقهية

إن المتأمل في تفسير الشيخ السعدي ومصنفاته يلمس أنه كان متمسكاً بالمذهب الحنبلي وذلك لكثرة نقله عن أئمة الحنابلة كابن تيمية وابن القيم والاستشهاد بآرائهم في التفسير ومثال ذلك ما ذكره في تفسير سورة البقرة الآية (75) حيث استشهد بابن تيمية[2]، وكذلك مسألة المواريث فنقل كلام ابن القيم في كتابه جلاء الافهام[3].

أما ابن باديس كان مذهبه مالكياً ويظهر جلياً في استدلالاته الكثيرة بأقوالهم وخاصة الامام ابن العربي المالكي والقاضي عياض المالكي فقد استشهد بأقوالهم في مواضع عديدة من تفسيره مثل سورة الاسراء الآية (78) استشهد برواية القاضي عياض[4] وكذلك استشهد في تفسيره لسورة الاسراء أيضا الآية (29) استشهد بأقوال الامام ابن العربي المالكي رحمهم الله جميعاً[5].

[1] اعلام الموقعين، ابن القيم الجوزية ، مكتبة دار البيان ، دمشق، ط:1، 1999م، ج:2، ص:373.

[2] تيسير الكريم الرحمان، السعدي، ص: 42.

[3] المصدر السابق، ص:150.

[4] مجالس التذكير ابن باديس، ج:1، ص:329.

[5] المصدر السابق، ج:1، ص:232.

سادسا: الشيخ السعدي تفسيره خال من الاستشهاد بالشعر العربي القديم، أما الشيخ ابن باديس فكان يستشهد في تفسيره بالشعر العربي

قد ورد عند الصحابة والتابعين كثيرا الاحتجاج على غريب القرآن ومشكله بالشعر العربي فكانوا يلتمسون غريب القرآن في الشعر؛ لأن الشعر ديوان العرب.

وعليه فإن اطلاعي على تفسير السعدي من أوله إلى آخره لم أعثر على بيت واحد من الشعر القديم في تفسيره أبداً.

أما ابن باديس فكان يلجأ إلى استمداد علم التفسير من ديوان العرب وأشعارهم وذلك بمعرفة مقاصد العرب من كلامهم وأدب لغتهم لأجل بيان ما خفي فهمه في القرآن الكريم.

ومن أمثلة استشهاد ابن باديس بالشعر العربي القديم ما يلي:

1- عند تفسيره لمعنى الأوبين في قوله تعالى: {فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا}

قال رحمه الله: "والأوابون في قوله تعالى :{فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا} هم كثيرو الرجوع إلى الله تعالى.

والأوبة في كلام العرب هي الرجوع، قال عبيد:

وَكُلُّ ذِي غَيْبَةٍ يَؤُوبُ ... وَغَائِبُ الْمَوْتِ لَا يَؤُوبُ"[1].

2- وعند تفسيره لمعنى أشده في قوله تعالى: {وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا} (34){وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} (الإسراء: 34، 35) قال رحمه الله: "فالأربعون هي سن الاستكمال، والاستواء، والتمام في القوى، وهي السن التي بعث الله فيها النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- للعالمين بشيرا ونذيرا".

ولا يزال الإنسان في قوته- ما لم تعرض الطوارئ- إلى الخمسين قال الشاعر[2]:

أخو الخمسين مجتمع أشدي..... ونجَّذني مداورة الشؤون ثم يأخذ في التراجع "[3].

سابعا: الشيخ السعدي كان لا يمهد بمقدمة في تفسيره للآيات بل يدخل في الموضوع مباشرة، أما ابن باديس فكان يمهد بمقدمة ثم يشرع في تفسيره:

[1] مجالس التذكير ابن باديس، ج:1، ص:212.

[2] وهو سحيم عبد لبني الحسحاس بطن من بني أسد، شاعر مخضرم مشهور عاش إلى أواخر خلافة عثمان رضي الله عنه " ينظر الأعلام للزركلي، ج:3، ص:79.

[3] مجالس التذكير ابن باديس، ج:1، ص:250.

فالشيخ السعدي يشرع مباشرة في تفسير الموضوع، بدون مقدمة أو تمهيد وهذه ميزة مطردة في تفسيره ومثال ذلك تفسيره لقوله تعالى.{ وجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلا}قال رحمه الله: "يقول تعالى : {وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ }أي: دالتين على كمال قدرة الله وسعة رحمته وأنه الذي لا تنبغي العبادة إلا له} .{فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ }أي: جعلناه مظلما للسكون فيه والراحة، {وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً} أي: {مضيئة لِتَبْتَغُوا فَضْلا مِنْ رَبِّكُمْ }في معايشكم وصنائعكم وتجارتكم {وأسفاركم وَلِتَعْلَمُوا} بتوالي الليل والنهار واختلاف القمر {عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ }فتبنون عليها ما تشاءون من مصالحكم. وَ{كُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلا }أي: بينا الآيات وصرفناه لتتميز الأشياء ويستبين الحق من الباطل كما قال تعالى : {مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ}"[1]

والأمثلة على ذلك كثيرة جداً وهذه طريقته؛ بل هذه طريقته من أول التفسير إلى آخره.

أما الشيخ ابن باديس كان كثيرا ما يمهد بمقدمة يضع فيها السامع القارئ في جو الآية التي يريد تفسيرها ثم يدخل في الموضوع تدريجياً وذلك بشرح المفردات ثم التراكيب ثم المعنى الإجمالي لها ثم يستطرد في العديد من الجوانب التي تتعلق بتفسير الآية ومن بين الأمثلة الواردة في تفسيره نفس المثال الذي نقلناه عن الشيخ السعدي وهو قوله تعالى: . {جَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلا}، فقبل أن يشرع في تفسيرها جعل لها تمهيد ثم انتقل إلى شرح مفرداتها وتراكيبها ثم ذكر الفوائد المستنبطة منها والعبر، ثم تكلم عن الظاهرة الكونية والغاية منها[2].

والأمثلة في ذلك كثيرة من بينها تفسيره لسورة المائدة الآية (15)[3] وسورة الإسراء الآية (22)[4] وسورة النمل الآية (15)[5] وسورة الذاريات الآيات من (47 – 51)[6].

هذا ما تسنى لي التوصل إليه من أوجه الاتفاق وأوجه الاختلاف بين المفسّرين وقد قدمت هذه الأوجه مختصرة دون إسهاب وتشعبات تعرجات تبعدنا عن مقصود البحث وغايته.

[1] تيسير الكريم الرحمان، السعدي، ص: 429.

[2] مجالس التذكير ابن باديس، ج:1، ص:153.

[3] المصدر السابق، ج:1، ص:105.

[4] المصدر السابق، ج:1، ص:182.

[5] المصدر السابق، ج:2، ص:191.

[6] المصدر السابق، ج:2، ص:311.

خاتمة

بعد هذه الرحلة العلمية التي طفت فيها بين رياض هذين الإمامين الجليلين توصلت إلى النتائج الآتية:

1_ تفوق الشيخين في الكثير من العلوم أهلهما إلى الجلوس للتدريس في أول شبابهما، فكانا مربيين ومصلحين ماهرين استطاعا تربية أجيال من الرجال العالمين المصلحين.

2_ كلا منهما فسر القرآن كاملا إلا أن السعدي حرص على تدوينه في حين لأن الشيخ ابن باديس درسه مشافهة ولم يتيسر له تدوينه .

3_ تنوع مصادر التفسير لدى الشيخين أضفى على تفسيريهما القدرة على الإحاطة والشمول ودل على مدى اطلاعهما على مؤلفات من سبقهما من المفسرين.

4_ اتفاق الشيخين في المنهج التفسيري في الكثير من المعالم والجوانب: في الوضوح والسهولة والاعتماد على التفسير بالمأثور عدم الاستدلال بالإسرائيليات والاجتهاد في بيان عقيدة أهل السنة والاعتماد على التفسير اللغوي والاستعانة بعلوم القرآن والعناية بعلم المناسبات وذكر بعض الظواهر العلمية والكونية في تفسيرهما والاعتماد على منهج التربية واستنباط الفوائد والأحكام وتنوع طرق التفسير.

5_ من أعظم الصفات المشتركة في منهج الامامين مما جعل لهذين التفسيرين الإقبال والقراءة هي تجنب مسائل الخلاف في تفسيريهما حيث كانا حريصين على المقصد الأسمى للقرآن الكريم وهو الهداية والإصلاح العام.

6_ تباين منهج الشيخين في بعض الجوانب بحكم الظرف المعاش والبيئة المتوفرة ومنها:

7_ اختلاف مذهبهما الفقهي مما أدي إلى اختلاف مصادرهما في المسائل الفقهية وتفسيرهما لآيات الأحكام.

8_ منهج ابن باديس أكثر منهجية وتعمقاً في تفسيره إذ يحيط بكل عناصر الدرس.

9_ توسع ابن باديس في القضايا اللغوي كشرح المفردات والتراكيب والاستشهاد بالشعر العربي القديم بخلاف السعدي فإنه كان يكتفي بإيراد المعني الإجمالية للآية.

قائمة المصادر والمراجع

-الزركلي خير الدين، الأعلام، ، دار العلم للملايين، بيروت، ط:3، 1989م

-عبد الله بن عبد الرحمان البسام، علماء نجد خلال ستة قرون، مكتبة النهضة، 1398هـ

-المرنخ ناصر العبد سليم، منهج الشيخ السعدي في تفسيره، ، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية غزة، 1423هـ-2022م

-ابن باديس عبد الحميد، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ، ت: أبو عبد الرحمان محمود، دار الرشيد للكتاب والقرآن الكريم، الجزائر، ط:1، 2009م

-طالبي عمار، ابن باديس حياته وآثاره، ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط:2،1403هـ، 1983م

- السعدي عبد الرحمان، تيسر الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، تحقيق:عبد الرحمن بن معلا اللويحق، دار ابن حزم بيروت، لبنان، ط:1، 2003م

-زكوب باي، تفسير عبد الحميد بن باديس منهجه وخصائصه، مجلة الإسلام في آسيا،مج:8، العدد: 2، ديسمبر 2011م،

-طالبي عمار، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، تونس، 1997م

-صحيح البخاري.

-صحيح ابن ماجه.